# الفصل الثالث

## أسس بناء الخبرة

عند بناء خبرات رياض الأطفال يجب مراعاة بعض الشروط والأسس ، منها ما يتعلق بالفلسفة العامة للدولة التي توجه العمل بها ، ومنها ما يتعلق بالبيئة والمجتمع والمعرفة السائدة والتقدم العلمي والاتجاهات العالمية ، ومنها ما يتعلق بالطفل الذي تُقدَّم له الخبرات والمرحلة العمرية وخصائص نموه وحاجاته وميوله ، على أساس أن الطفل محور التربية وهدفها ، وسوف نقوم بالدراسة والتحليل وإلقاء الضوء على كل منها .

### أولاً : الأساس الفلسفي :

يركز المنهج المدرسي على فلسفة تربوية معينة تعكس في المقام الأول فلسفة المجتمع، وذلك باعتبار أن الأهداف المنشودة هي التي يلقيها عليها المجتمع القائم على إنشائها ورعايتها، ولذلك يضع مخططو المناهج في اعتبارهم الفلسفة التربوية المنشودة أو الغايات المقصودة من ذلك المنهج؛ كترجمة حقيقية في شكل مواقف تربوية يمر بها التلاميذ للاستفادة منها وفقًا لما تعنيه فلسفة المنهج التي تعبر عن أهداف المجتمع في المحصلة النهائية ، والنظم الاجتماعية – بما فيها النظام التعليمي – التي تسترشد في ممارستها بالفلسفة التي يؤمن بها المجتمع ، وللفلسفة دور مميز ، حيث إنها تتناول جميع عناصر الثقافة بالدراسة والتحليل والنقد، فتكشف عن نواحي الضعف في نقاطها لتوصيلها إلى ما ينبغي أن تكون عليه حتى تتغلب على هذه النواحي، ونقض ألوان الصراع والتناقض بين مكوناتها الثقافية . وتحقيق الوحدة والانسجام بينها .

أي أن هناك علاقة وثيقة بين المنهج المدرسي والفلسفة التربوية التي هي في محصلتها النهائية تعبر عن الفلسفة التي يؤمن بها المجتمع ، وإذا نظرنا إلى الفلسفة التي يتخذها مجتمعنا في الوقت الحالي ، والقائمة على الديمقراطية ، والتي من أهم دعائمها احترام شخصية الفرد ، والعمل ، والتعاون ، والإيمان بذكاء الفرد وقدرته على الإنتاج السليم .

ونستنتج مما سبق أن المقصود بالأساس الفلسفي هو: «مجموعة من القواعد والسلوك التي يستخدمها الناس ( أفراد المجتمع ) ، أمالهم وطموحاتهم في الحياة ، وتشتمل هذه القواعد على الأهداف والمبادئ والأحكام والمعتقدات» .

### ثانيًا : الأساس الاجتماعي :

هي كل المفاهيم التي تؤثر في مبادئ ومراحل النمو في بناء المنهج. ( مثل التفاعل الاجتماعي ، التغير الاجتماعي ، المشكلات الاجتماعية ) .

كما تعني أيضًا القوى الاجتماعية المؤثرة في وضع المناهج وتنفيذه ، وتتمثل في التراث الثقافي للمجتمع والقيم والمبادئ السائدة والاحتياجات والمشكلات التي تهدف إلى حلها والأهداف التي يحرص على تحقيقها ، وهذه القوى تشكل ملامح الفلسفة الاجتماعية أو النظام الاجتماعي لأي مجتمع من المجتمعات، في ضوئها تنحدر فلسفة التربية التي بدورها تؤثر في محتوى المناهج وتنظيماتها ، وإستراتيجيات التعليم والوسائل والأنشطة التي تعمل كلها في إطار مشتق لبلوغ الأهداف الاجتماعية المرغوب تحقيقها ، وعليه فإن المنهج يعكس مقومات الفلسفة الاجتماعية ويحولها إلى سلوك يمارسه الأطفال بما يتفق مع متطلبات الحياة في المجتمع بجوانبها المختلفة ، ولما كانت المدرسة إحدى المؤسسات الاجتماعية التي أقامها المجتمع من أجل استمرار وإعداد الأفراد للقيام بمسئولياتهم ، فمن الطبيعي أن يتأثر المجتمع بالظروف المحيطة به ، ومعنى ذلك أن القوى الاجتماعية التي يعكسها منهج المدرسة إنما هي تعبير عن المجتمع في مرحلة ما لتلك المناهج من حيث الشكل والمنطق .

لذلك يُعد الحديث عن الأساس الاجتماعي والنظام الاجتماعي من أصعب المهام وأقدمها في تاريخ الإنسانية ، لارتباطها بجميع شئون الأفراد على المستويين الفردي والاجتماعي .

والمجتمعات الإنسانية التي ابتعدت عن المنهج الإسلامي استطاعت أن تكوِّن عدة نظم اجتماعية تبين بوضوح أساس النظام الاجتماعي؛ الذي يبين نوع العلاقة بين الفرد والجماعة، أو المجتمع، لما لهذا الموضوع من أهمية في حياة الإنسان ، فقد حاول الإنسان منذ القدم أن يضع معايير للعلاقة بين الفرد والجماعة، وقد ظهرت الآراء المتباينة للفلاسفة حول هذا الموضوع . فمنهم من وضع الدولة وأهدافها في المقام الأول، وطلب من الفرد أن يتعايش مع ظروف الدولة وأهدافها ، ويرى بعض الفلاسفة أن السعادة الحقيقة لأي فرد لا يمكن الوصول إليها إلا عن طريق سعادة الجماعة أو الدولة؛ لذلك فإنه يرى التركيز على متطلبات الدولة وأهدافها .

والعلاقة بين الفرد والجماعة في المجتمع الإسلامي دستورية ، بمعنى أن الفرد والجماعة يحتكمان باستمرار للدستور الإلهي ، وهذا يدفعنا لنتناول المفهومين الرئيسين في هذا الموضوع بشيء في التفصيل :

## مفهوم البيئة ومفهوم المجتمع :

تُعد البيئة من العوامل الاجتماعية المؤثرة في المناهج ، والإنسان باعتباره أرقى الكائنات الحية – بما لديه من قدرات عقلية وتفاعلات مع الظروف المحيطة باتجاهين – فهو يؤثر في هذه الظروف ويتأثر بها ، عكس الحيوان الذي يتأثر بالظروف ويكاد لا يؤثر إلا تأثيرات طفيفة تتناسب طبيعة حياته ، والإنسان لا يتأثر ويؤثر بالبيئة المادية المحيطة به فحسب، بل يتأثر بالبيئة الاجتماعية وبالتفاعلات التي تحصل بين مكوناتها الفكرية وبالجو الانفعالي والنفسي المحيط به ، بعكس الحيوان الذي لا يتأثر بمثل هذا الظروف ولا يكون للحيوان مجتمعات مستمرة متطورة،

بل تسيره غريزته التي أودعها الله فيه.

وفي ضوء كل ما سبق يمكن القول: إن بيئته الإنسانية «مؤثرة ومتأثرة» وهي غير محدودة فلدى الإنسان القدرة على توسيعها، ومما يؤكد ذلك اكتشافاته في عالم الفضاء .

والمناهج الفعالة يجب أن تعرف المتعلم ببيئته، وبكل مكوناتها بمختلف الوسائل و الظروف، مثل الزيارات والرحلات العلمية ، والمعسكرات الدراسية والقيام بالملاحظات والمقابلات والقراءات ، وما إلى ذلك من وسائل نقل المتعلم إلى البيئة، نقل جسدي أو فكري، أو نقل البيئة إلى المتعلم؛ في الكلمة المقروءة أو المسموعة .

كما يجب أن تنمي المناهج لدى المتعلم القدرة على التفكير ، وتعامله بذكاء مع البيئة ، وإلا ستكون تأثيراته السلبية أقوى من الإيجابية. ويجب أن تساعد المناهج الطفل على اكتساب الاتجاهات البيئية السليمة ، وأن تلبي للمتعلم رغباته وميوله ، وتشبع حاجاته وتراعي الفروق الفردية بينه وبين الآخرين .

ولابد من ربط حاجات المجتمع ومتطلباته بمناهج وبرامج الروضة ( تنمية البشرية )، حتى يتمكن من إحداث تغيير في المجتمع ، ورفع المستوى الاقتصادي والاجتماعي للفرد والجماعة ، بهدف إكساب المجتمع القدرة على التغيير والتطوير الذاتي من أجل تحسين نوعية الحياة والاستجابة لتلك الحاجات .

لذلك لابد من التخطيط الجيد والتنظيم العملي في التربية والتعليم ، ولا يتم ذلك إلا من خلال التخطيط والخبرات التربوية والتي تكون أساسًا لتحقيق الاستقلال والنمو الذاتي حتى ينهض الشعب بجهود أبنائه .

مما سبق يتضح لنا أن المناهج الدراسية ترتبط بالنظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، والتي تُعد وسيلة المجتمع لتحقيق أهدافه وتقدمه ، فالمدرسة أهم المؤسسات التربوية بعد الأسرة ، والتي أنشأها المجتمع لتربية وتعليم أبنائه ، لكي يُساهما في تطوير المجتمع وتحقيق التنمية والتقدم .

ولما كانت النظم الاجتماعية والنظريات التربوية متنوعة ، أدى ذلك لاختلاف الفلسفات التي تقوم عليها المناهج، وكذلك تنظيماتها ووسائلها ، وتُستمَد الأسس الاجتماعية للمنهج من دراسة التراث الثقافي للمجتمع وقيمه واتجاهاته التي يهدف لتزويد أبنائه بها .

ومن هنا فالمجتمع يمثل أحد الأبعاد الأساسية للمنهج ، والتي لا يمكن إغفالها ، للعلاقة الوثيقة بينهما ، والضرورة تقتضي مراعاة مخططي ومنفذي المناهج لها ، وبناء على ذلك يجب ارتباط المنهج ببيئة الطفل ومجتمعه الذين يستمد منها موضوعاته ومحتواه ، والتصدي لمشكلاته ، وإيجاد حلول لها ، ومن هنا يحدث التفاعل بين المتعلم وبيئته ، ويجب أن يتضمن المنهج مواقف وخبرات تساعد الطفل على تكوين اتجاهات إيجابية نحو البيئة ، والقدرة على التحليل والاستنتاج .

**ثالثًا: الأساس النفسي:**

هذا الأساس يعني: مجموعة المقومات والعناصر والمبادئ النفسية التي يعتمد عليها في بناء منهج الطفل.

فالطفل يمثل العمود الفقري في المنهج التربوي الحديث ، كرد فعل للتربية التقليدية التي حرمته مما يهمه ويحتاج إليه ، وأثقلت كاهله بكم كبير من المعلومات والحفظ ، وأهملت ميوله وقدراته ، وحرمته من اللعب والنشاط .

فالمنهج الحديث تناول الطفل من جميع النواحي الجسمية والعقلية والاجتماعية والانفعالية والاتجاهات والميول والقدرات في كل عمليات التخطيط والتطوير والتنفيذ .

ومحور المنهج هو الطفل ، ويجب أن يهتم بإيجاد حلول للإجابة على التساؤلات الآتية : كيف يفكر ؟ وكيف يسلك ؟ وكيف يتعلم ؟ وما هي الاتجاهات والقيم التي يجب أن تتكون لديه؟ فمحتوى المنهج ليس مجرد مجموعة من المعارف والحقائق فقط ، وإنما هو مركبٌ يتضمن كافة نواحي حياة الطفل ، مع دراية كاملة بطبيعة المتعلم وإمكاناته ودوافعه .

والفرد منذ ميلاده يمر بمراحل نمو ، كل مرحلة لها سمات وخصائص ومطالب تميزها عن غيرها ، ولهذا كان لابد على واضعي مناهج وأنشطة رياض الأطفال الاستناد إلى نظريات النمو والتعلم التي تدور حول الطفولة المبكرة ، حتى يمكنهم اختيار محتوى الخبرات والأنشطة والبرامج التربوية التي تلبي خصائص وحاجات المرحلة ، وتتفق مع مستوى قدراتهم ونموهم ، وسوف نتحدث عن أهم نظرية نمو في هذا المجال " نظرية جان بياجيه "عند تناول النظريات التي تستند إليها الخبرات المتكاملة في الفصل القادم .

**رابعًا: الأساس المعرفي:**

تعد المعرفة بعدًا مهمًّا من الأبعاد التي يقوم عليها المنهج ، وهناك وجهتي نظر حول المعرفة ، فالفكر التقليدي يعتبرها هدفًا في حد ذاته ، وهي المحور الذي يدور حوله المنهج التقليدي ، بينما تنظر التربية الحديثة للمعرفة على أنها جزء مكمل لحياة الفرد الذي يمثل محور التربية وهدفها .

وترى التربية الحديثة أن المعرفة في المجتمع متنوعة وكثيرة ، لأن الوقت الحاضر يمثل عصر الانفجار المعرفي ، ومن المهم اختيار منها ما يهم المتعلم ويحتاج إليه خلال مراحل التعليم .

وتؤمن أيضا التربية الحديثة بوحدة المعرفة وتكاملها ، والتي يجب أن تُقدَّم للطفل في شكل مواد مترابطة أو وحدات أو مشروعات ، مع الاعتماد على نشاط المتعلم وإيجابيته أثناء التعلم سواء أكان داخل القاعات الدراسية أو خارجها .

والذكاء من السمات الأساسية التي تميز الإنسان، والمعرفة هي نتاج هذا الذكاء ولما كانت المعرفة أساسًا في نمو الإنسان – حيث لا ينمو بدونها – فقد اعْتُبِرَتْ أحد أهداف التربية الرئيسة،

وأساسًا مهمًّا من الأسس التي يجب أن يشتمل عليها المنهج.

**المنهج وطبيعة المعرفة:**

وتتوقف طبيعة التعليم والتعلم ومحتواهما على درجة كبيرة على ما يفهمه الفرد من ماهية المعرفة وتتفاوت المعرفة في طبيعتها، فهي:

**1- معرفة مباشرة.** **2- معرفة غير مباشرة.**

و المنهج الواقعي يجب أن يتضمن كلا النوعين من المعرفة ويهتم بهما، ويبين المنهج الحديث أن من عيوب المنهج التقليدي أنه كان يعتمد على الكتاب المدرسي، باعتباره المصدر الوحيد لمعرفة الأطفال.

وقد اهتم «بياجيه» في نظريته البنائية عام 1896م بالتغيرات التي تطرأ على ذكاء الطفل، وخاصة التغير في الأبنية العقلية لما لها من أثر في تطور الذكاء.

**ويرى بياجيه أن الوظيفة العقلية عند الإنسان تتم في ضوء العمليات التالية:**

أ ـ **التنظيم**: وهي ميل الطفل إلى ترتيب وتنظيم العمليات العقلية في أنظمة متناسقة.

ب ـ **التكيف**: وهي ميل الطفل إلى موافقة نفسه مع البيئة، وفي حالة التكيف يرى بياجيه أن الطفل يقوم بعمليتين:

أ ـ **التكيف** وهي: ميل الطفل لإحداث تغير في تراكيبه العقلية لتواجه مطالب البيئة.

ب ـ **التمثيل** وهي: ميل الطفل لاستيعاب الصور من البيئة وإضافتها إلى بنائه العقلي.

كما يرى بياجيه أن التوازن بين التكيف والتمثل هو الذي يؤدي إلى التغير في السلوك و إلى التطور في المعرفة.

**وفي مجال التطور المعرفي يرى بياجيه ما يلي:**

ـ أن الطفل يتعلم أثناء تفاعله مع البيئة ليس الخبرات المباشرة فقط، وإنما يتعلم أيضًا كي يتفاعل مع البيئة.

ـ إن التطور المعرفي ليس تطورًا كميًا لأنه يخضع لتتابع كيفي.

ـ يمر الطفل أثناء عملية النمو المعرفي بفترات تسمى الفترات التوسطية وهي فترات اختلال توازن، وهذه الفترات هي التي توفر أكثر الفرص للتعلم.

**وفي مجال التفكير يرى بياجيه أن التفكير عند الطفل يتطور وفق مراحل نمائية محددة هي:**

1- **مرحلة التفكير الحسي:**

وتمتد من الولادة حتى عمر سنتين، وفيها يكتسب الطفل بنية عقلية كما يكتسب طريقة إدراك البيئة، فمثلًا عندما يدرك الطفل أشكالًا في البيئة يقوم بالتعرف عليها وتنتهي هذه المرحلة بظهور

درجة من: التذكر، التخيل.

**2- مرحلة التفكير ما قبل العمليات:**

وتمتد من ( 2- 7 ) سنوات: وفيها يتمكن الطفل من إدراك الأشياء.

3- **مرحلة التفكير الواقعي:**

وتمتد من 7 – 12 سنة: وفيها يكثر الطفل من التقليد ويعتمد كثيرًا على التمثيل .

**4- مرحلة التفكير المجرد :**

وتمتد من 13 سنة: فما فوق وفيها يصل الطفل إلى النضج العقلي الكامل، ويظهر فيها الاتزان في التفكير وتتولد عنده مفاهيم مجردة ، ويعبر عن الأشياء بالرموز كالتصنيف ، والترتيب والتساوي .

**ومما سبق يتضح لنا أن مناهج رياض الأطفال لابد أن تستند للاتجاهات التربوية الحديثة للاعتبارات الآتية :**

* مرحلة رياض الأطفال لها طبيعة خاصة تميزها عن مراحل التعليم الأخرى ، تعتمد على اللعب والنشاط ، فهي ليست ميدانًا لدراسات نظرية بعيدة عن الواقع ، ولكن ضرورة ارتباط النظري بالواقع الذي يعيشه الطفل .

* الاتجاهات الحديثة في المجال التربوي برياض الأطفال تركز على النظرة التكاملية بين الخبرات ، ولذا نجد أن برامج رياض الأطفال تُبنَى في صورة خبرات متكاملة ، تدور حول وحدات دراسية ، مثل خبرة الكائنات الحية أو النبات ، والتي تربط بين الخبرات المهمة التي يحتاج إليها الطفل وتُلَبي مطالبه ، واكتساب المفاهيم اللغوية والرياضية والعقلية والاجتماعية والحركية والفنية والموسيقية أثناء مروره بكل خبرة بالبرنامج اليومي .

* لابد أن توفر مناهج أنشطة رياض الأطفال الحد الأدنى من المعلومات والمهارات الأساسية المناسبة للطفل .

* يجب أن تعتمد مناهج الروضة على خبرات الأطفال السابقة ، وتعمل على ربط الخبرات داخل الروضة وخارجها ، وإيجاد التكامل والتنسيق بينها .

* * *